

زاد الصامدين

مركز نون للتأليف والترجمة

الإعداد والإخراج الالكتروني
www.almaaref.org

زاد الصامدين



الإعداد والإخراج الالكتروني
www.almaaref.org

الكتاب: زاد العابدين

إعداد: مركز نون للتأليف والترجمة

الطبعة الأولى حزيران 2005م - 1426هـ

زاد الصامدين

جمعية المعارف الإسلامية الثقافية

بيروت . لبنان . المعمورة . الشارع العام

هاتف: ٠١/٤٧١٠٧٠

ص.ب. ٢٤/٥٣ . ٢٥/٣٢٧

إعداد مركز نون للتأليف والترجمة

الإعداد والإخراج الالكتروني

www.almaaref.org


بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

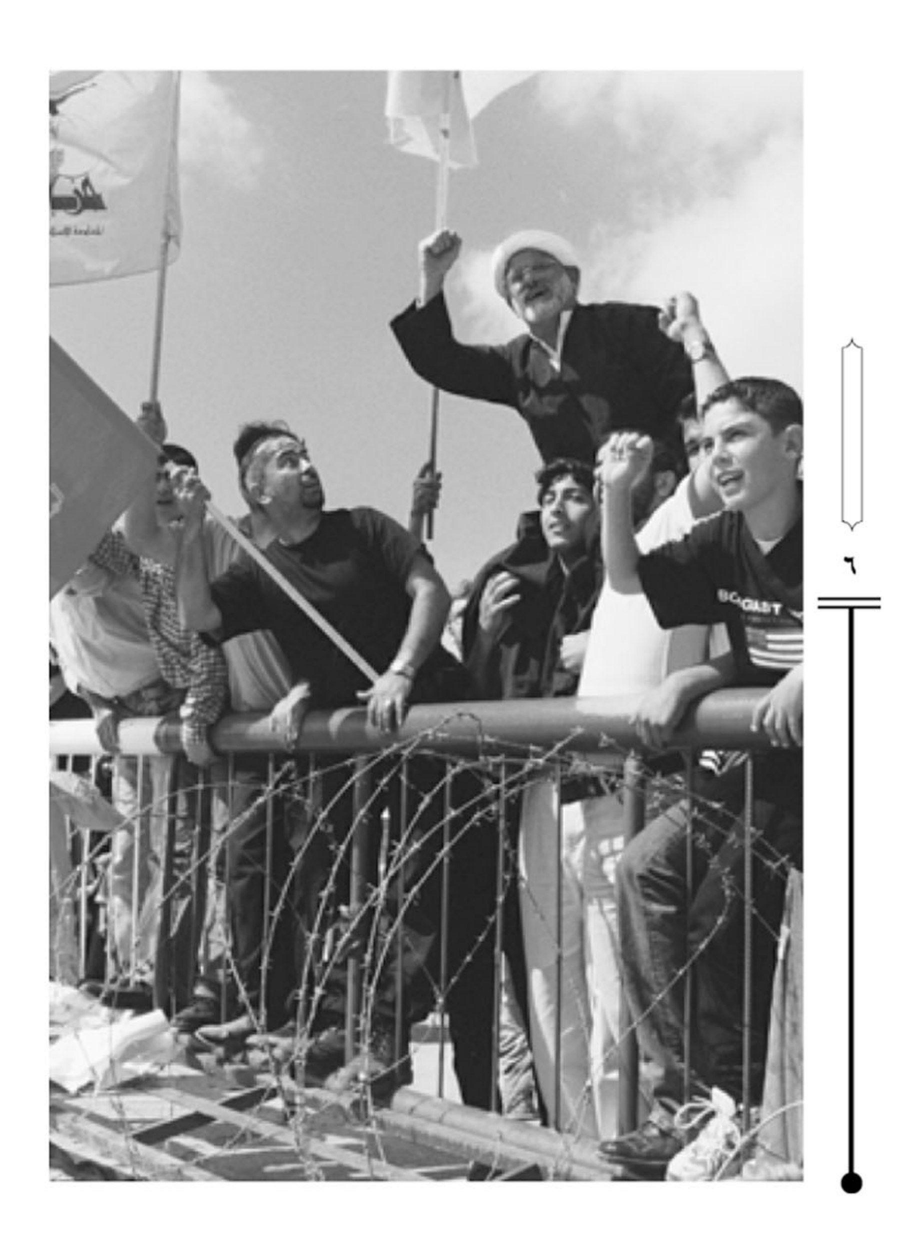
حينما تقسو الحياة، وتسود الحروب ويذهب الرخاء، يكون الإبتلاء من اللّه تعالى للعباد، فأي منهم سوف يثبت على دينه؟

وهل يستطيع المحاصر المحافظة على المبادئ التي أرساها له الإسلام؟

وهل من السهل تحمل كل أنواع العذاب بدون أي دعم؟

من هنا كانت الحاجة لتمتين النفس وتحصينها عبر تذكيرها بالآخرة والعاقبة الحسنة للمؤمن المبتلى، والصابر على أنواع البلاءات.

كتاب زاد الصامدين، يتضمن مفاهيم يسيرة مليئة بالمعاني الإيمانية والخلقية التي ذخر بها الإرث المبارك للرسول الأكرمﷺ وأهل بيته عليهم السلام، فإن روح الإنسان في مواطن الصبر تحتاج إلى الذكرى، وتستأنس بالموعظة، فتعيد شحن روحه بطاقة إيمانية تنهزم أمامها كل أنواع التحديات...





١

البلاء

ضرورة البلاء

إن مجرد ادعاء المرء الإيمان أو أي فضيلة لا تكفي لثبوت حقيقة ما ادعاه، فالإدعاء ونسب الصفات الحميدة للنفس أمر مقدور لكل من له لسان ومقدرة على نظم الكلام، ومن هنا كان البلاء من الله عز وجل للإنسان يقول الله تعالى **﴿مَّا كَانَ اللّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىَ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾**[1].

فعند نزول البلاء تبين الحقائق ويفضح المستور ويستبين من كان يدعي الفضائل وهو فارغ منها **﴿وَلِيَبْتَلِيَ اللّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾**[2].

سبب البلاء

يعترض الكثير من الناس عند نزول البلاء عليهم، بل يصل الأمر

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٧٩.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٥٤.

ببعضهم إلى التشكيك بالعدل الإلهي والعياذ بالله وسبب ذلك عدم استحكام الإيمان في قلوبهم بالدرجة الأولى وعدم المعرفة بحكمة الإبتلاء من الله عز وجل لعباده، وللمطالع للروايات والآيات الكريمة أن يستشف بعض الأسباب والحكم التي يبتلي الله عباده لأجلها وهذه الحكم هي:

❖ **أولاً:** أن تتبين حقيقة المدعين فكم من أشخاص يدعون من الكمالات والكرامات ثم بعد نزول البلاء تراهم ساخطين غير راضين بما قسم الله لهم؛ فعن الإمام علي عليه السلام في قوله تعالى: (إنما أموالكم وأولادكم فتنة) ومعنى ذلك أنه سبحانه يختبر عباده بالأموال والأولاد ليتبين الساخط لرزقه والراضي بقسمه[١].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: في تقلّب الأحوال علم جواهر الرجال والأيام توضح لك السرائر الكامنة[٢].

❖ **ثانياً:** استحقاق المثوبة من الله عز وجل ؛ففي تتمة الحديث في شرح قوله تعالى: (إنما أموالكم وأولادكم فتنة) يقول أمير المؤمنين عليه السلام: وإن كان سبحانه أعلم بهم من أنفسهم ولكن لتظهر الأفعال التي بها يستحق الثواب والعقاب[٣].

❖ **ثالثاً:** التأديب من الله لعباده، وغفران الذنوب؛ فعن الإمام علي عليه السلام: ... ولكن الله يختبر عباده بأنواع الشدائد ويتعبدهم بأنواع

(١) ميزان الحكمة، الحديث ١٨٩٠.
(٢) ميزان الحكمة، الحديث ١٨٩١.
(٣) ميزان الحكمة، الحديث ١٨٩٠.

المجاهد ويبتليهم بضروب المكاره إخراجاً للتكبر من قلوبهم وإسكاناً للتذلل في قلوبهم ولجعل ذلك أبواباً فتحاً إلى فضله وأسباباً ذللاً لعفوه[1].

شدة بلاء المؤمن

إذا كان البلاء تأديباً من الله لعباده ونظراً منه إليهم، فأولى الناس به هم المؤمنون، ولذلك كان أشد أنواع البلاء واقعاً على من حاز أعلى نسبة من الإيمان وهم الأنبياء، فعن الإمام الصادق عليه السلام : أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الذين يلونهم ثم الأمثل فالأمثل[2].

وفي الحديث الآخر عن الإمام الباقر عليه السلام : إنما يبتلى المؤمن في الدنيا على قدر دينه[3].

ومن خلال هذا نعرف أن المؤمن كلما ازداد إيمانه وكلما قرب من الله أكثر، عظم بلاؤه واشتد عليه، وقد ورد هذا المعنى في الحديث الشريف عن الإمام الصادق عليه السلام : إنما المؤمن بمنزلة كفة الميزان، كلما زيد في إيمانه زيد في بلائه[4].

ومن هنا كانت دعوة الإمام الباقر عليه السلام للشخص الذي ادعى محبته بأن يستعد للبلاء؛ فقد جاء في الحديث ان رجلاً قال له: والله

(١) نهج البلاغة، ج٢، الخطبة ١٩٢، المسماة بالقاصعة.

(٢) ميزان الحكمة، الحديث ١٨٩٨.

(٣) الكافي، ج٢، ص٢٥٣.

(٤) الكافي، ج٢، ص٢٥٤.

إني لأحبكم أهل البيت فقال له عليه السلام: فاتخذ للبلاء جلبابا، فوالله إنه لأسرع إلى شيعتنا من السيل في الوادي[1].

وذلك لأن محبة أهل البيت عليهم السلام من تمام الإيمان بالله والرسالة...

البلاء نعمة وتكريم

إن كثيراً من الناس يفتخرون إذا أولاهم أحد أصحاب الوجاهة عناية خاصة بهم، بل لو أهانهم على رؤوس الأشهاد لعدوا ذلك كرامة لهم لأن صاحب الوجاهة نظر إليهم ولخصوص شخصهم، هذا عند أتباع أهل الدنيا.

ومن منظورٍ إلهي، فإن ملك الملوك وجبار الجبابرة وأرحم الراحمين ومالك كل شيء في عالم الوجود ينظر إليك أيها المؤمن أليست هذه بأعظم الكرامات؟!!

نعم إنها كذلك، ولذلك عدت الروايات البلاء نعمة الله تعالى للعباد بما يحويه من معاني التقرب من الله عز وجل؛ ففي الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام: البلاء زين المؤمن وكرامة لمن عقل لأن في مباشرته والصبر عليه والثبات عنده تصحيح نسبة الإيمان[2].

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: عجبت للمؤمن وجزعه من السقم ولو علم ما

(١) مستدرك الوسائل، ج٢، ص٤٣٧.

(٢) ميزان الحكمة، الحديث ١٩٢٨.

له في السقم لأحب أن لا يزال سقيماً حتى يلقى ربه عز وجل[1].

ولذلك كره الإمام السجاد عليه السلام الإنسان الذي لا يبتلى لأن ذلك ليس من أمارات الخير فعن الإمام زين العابدين عليه السلام: إني لأكره أن يعافى الرجل في الدنيا ولا يصيبه شيء من المصائب[2].

كيف نتعايش مع البلاء؟

لا بد للإنسان المؤمن أن يتكيف مع البلاء بالصورة التي أرادها الله تعالى له، وذلك بالصبر والشكر وعدم الإعتراض على حكمته تعالى وبدون هذه الصفات فإنه لن يحصّل سوى العناء في الدنيا وخسران الثواب الجزيل في الآخرة، فعليه أن يقول لنفسه: تحملي البلاء فإن الله قد نظر إليك ليحسن ثوابك عنده فاشكريه على حسن الرعاية واصبري فما الدنيا إلا ساعة وتمر وغداً يأتي الحساب وتفوزين بالأجر الكبير عند الله عز وجل...

وقد وصف أمير المؤمنين عليه السلام المتقين في الخطبة المعروفة بخطبة المتقين بصفات حميدة؛ يقول عليه السلام: نزلت أنفسهم منهم في البلاء كما نزلت في الرخاء[3] فهم لا يفترق حالهم عند البلاء فيشكرون الله على كل حال.

(١) ميزان الحكمة، الحديث ١٠٠٨١.
(٢) ميزان الحكمة، الحديث ١٩١٦.
(٣) ميزان الحكمة، الحديث ١٩٧٠.

وفي الحديث الآخر عن أبي عبد الله عليه السلام قال: فيما أوحى الله إلى موسى عليه السلام أن: يا موسى ما خلقت خلقا أحب إليّ من عبدي المؤمن، وإني إنما أبتليه لما هو خير له، وأعطيه لما هو خير له وأزوي عنه لما هو خير له، وأنا أعلم بما يصلح عليه عبدي، فليصبر على بلائي، وليرض بقضائي، وليشكر نعمائي، أكتبه في الصدّيقين عندي إذا عمل برضائي وأطاع أمري[1].

ما يقال عند نزول البلاء؟

إن ذكر الله عز وجل في الشدائد والبليات من المسائل التي تقوّي العزيمة لأن ذكر الله عبارة عن الإعتصام به وبقوته والإستعانة بقدرته، فالإرتباط بالقوي المطلق يعطي الإنسان القوة على التحمل والصبر، ومن هنا وردت الآيات والروايات الكثيرة التي تعلمنا ما نقوله عند نزول البلاء قال سبحانه وتعالى:

﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُواْ إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّـا إِلَيْهِ رَاجِعونَ﴾[2].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام : قل عند كل شدة لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم تكفها[3].

(١) كتاب المؤمن، الحسين بن سعيد، ص١٧.
(٢) سورة البقرة، الآية: ١٥٦.
(٣) بحار الأنوار، ج٧٧، ص٢٧٠.

وعن الإمام الرضا عليه السلام: رأيت أبي في المنام فقال يا بني إذا كنت في شدة فأكثر من قول يا رؤوف يا رحيم[1]...

وعن الإمام الباقر عليه السلام: من صبر واسترجع وحمد الله عند المصيبة فقد رضي بما صنع الله ووقع أجره على الله، ومن لم يفعل ذلك جرى عليه القضاء وهو ذميم وأحبط الله أجره[2].

البلاء سُلّم الدرجات

إن بعض منازل القرب من الله تعالى لا تنال إلا بالبلاء الشديد بل بأنواع خاصة من البلاء يكون من الصعب تحملها على الإنسان العادي بل تتطلب روحية عالية وقلبا صبوراً لا يهتز عند نزول المصائب، ففي الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام: إن في الجنة منزلة لا يبلغها عبد إلا بالإبتلاء في جسده[3].

وعنه عليه السلام: إنه ليكون للعبد منزلة عند الله فما ينالها إلا بإحدى خصلتين: إما بذهاب ماله، أو ببلية في جسده[4].

فعلينا أن نسأل الله تعالى أن يوفقنا للصبر عند نزول المكاره وأن يلهمنا الرضا والتسليم لأمره وقضائه حتى نعد في جملة الفائزين بهذا الإمتحان الكبير.

(١) ميزان الحكمة، الحديث ١٩٨٦.

(٢) ميزن الحكمة، الحديث ١٠١١٣.

(٣) ميزان الحكمة، الحديث ١٩٦٥.

(٤) الكافي، ج٢، ص٢٥٧.







٢

الصبر

فضل الصبر

ليس من كلام في فضل الصبر أوضح وأجلى من كلام أمير المؤمنين عليه السلام حينما قال: الصبر أحسن خلل الإيمان وأشرف خلائق الإنسان[1].

فإذا كان الصبر من أشرف الأخلاق الإنسانية فإن معنى ذلك أن الذي يتحلى به هو من أشرف الناس وأعظمهم أخلاقا، وهذا ما نراه جلياً في امتحان الأنبياء عليهم السلام فإن إحدى البليات التي يتعرض لها الأنبياء لكي ينالوا مقام الإمامة الإلهية تتطلب الصبر الشديد بحيث لا يستطيع المؤمن العادي تحمّلها، فهذا نبينا إبراهيم عليه السلام قد صبر على طاعة الله عز وجل بعد أن أمره بذبح ولده فكاد أن يذبحه لولا الفداء العظيم من الله بعد أن أظهر عليه السلام صبراً على أداء التكليف الإلهي فأعطاه الله مقام الإمامة الإلهية...

فالصبر صفة تدل على كمال المرء كما دل الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام : لا ينبغي لمن لم يكن صبورا أن يُعدّ كاملاً[2].

(١) ميزان الحكمة، الحديث ١٠٠١٩.

(٢) ميزان الحكمة، الحديث ١٠٠٢٢.

وقد أمر الله المؤمنين بالصبر، كما جاء في القرآن الكريم الكثير من الآيات التي تحث عليه منها قوله تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾**[١].

الصبر علامة الإيمان

لأن الصبر من أهم الصفات الأخلاقية، فقد اعتبر أساسا من أسس ترسخ الإيمان ودليلا يدل على تديّن حامله؛ فعن الإمام علي عليه السلام: الصبر في الأمور بمنزلة الرأس من الجسد فإذا فارق الرأس الجسد فسد الجسد وإذا فارق الصبر الأمور فسدت الأمور[٢].

وفي الحديث الآخر عنه عليه السلام: أيها الناس عليكم بالصبر فإنه لا دين لمن لا صبر له[٢].

كيف يكون الصبر؟

سأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جبرائيل عليه السلام: يا جبرائيل فما تفسير الصبر؟ قال: تصبر في الضراء كما تصبر في السراء، وفي الفاقة كما تصبر في الغناء، وفي البلاء كما تصبر في العافية فلا يشكو حاله عند

(١) سورة آل عمران، الآية: ٢٠٠.

(٢) ميزان الحكمة، الحديث ١٠٠٦٤.

(٣) ميزان الحكمة الحديث ١٠٠٦٧.

المخلوق بما يصيبه من البلاء[1].

والصابر والمتصّبر وصفات لمن يصبر، وهما يختلفان بحسب المعنى، ففي الرواية عن إمامنا الصادق عليه السلام لما سئل عن الصابرين المتصبرين قال: الصابرون على أداء الفرائض، والمتصبرون على اجتناب المحارم[2].

أنواع الصبر

إن المعروف من الصبر عند الناس عادة الصبر عند المصائب إلا أن للصبر أقساما أخرى حسب الروايات عن أهل البيت عليهم السلام، فقد ورد عن الإمام علي عليه السلام: الصبر إما صبر على المصيبة، أو على الطاعة، أو عن المعصية، وهذا القسم الثالث أعلى درجة من القسمين الأولين[3].

فالصبر على المصيبة هو أن يشكر الإنسان الله تعالى على ما ابتلاه به من مصائب الدنيا، وقد تقدم معنا سابقاً ما يقوم به المرء عند نزول البلاء.

والصبر على الطاعة هو أن يقوم الإنسان بأداء التكاليف، وليس ذلك بالأمر السهل واليسير كما نتصور بل هو الإختبار الذي كثيراً ما يسقط فيه الإنسان في حفر الشيطان...

(١) ميزان الحكمة، الحديث ١٠٠٩٠.

(٢) ميزان الحكمة، الحديث ١٠٠٩٣.

(٣) ميزان الحكمة، الحديث ١٠١٠١.

والصبر على المعصية وهو الأعظم أجرا لأن الدنيا محفوفة بأنواع الملذات ومليئة بالإغراء لا سيما في زماننا هذا الذي تصل أسباب المعاصي إلى دار الإنسان من دون أن يدفع أي مقابل... فهنا يأتي الصبر للحفاظ على الدين، وينطبق الحديث الشريف عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يأتي زمانٌ على النّاس الصّابرُ منهم على دينِهِ كالقابِض على الجمر[1].

ثواب الصبر

إن الكرم الإلهي على العباد لا يستطيع الإنسان أن يعده أو يحصيه، ومن الثواب الجزيل الذي أعده الله للصابرين من المؤمنين ما ورد في الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام: من ابتلي من شيعتنا فصبر كان له أجر ألف شهيد[2].

فينبغي لمن ابتلاه الله بمصيبة أن يشكره لأنه قد فتح أمامه خزائن كرمه إذا صبر عليها؛ ففي الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام: لا تعدن مصيبة أعطيت عليها الصبر واستوجبت عليها من الله ثوابا بمصيبة، إنما المصيبة التي يحرم صاحبها أجرها وثوابها إذا لم يصبر عند نزولها[3].

(١) الأمالي للشيخ الطوسي، ص٤٨٥.
(٢) ميزان الحكمة، الحديث ١٠٠٨٠.
(٣) ميزان الحكمة، الحديث ١٠٠٧٩.

الصبر والنصر

ومن الأمور التي يثيب بها الله الصابر في الدنيا، الظفر والنصر ففي الحديث الشريف عن رسول الله ﷺ: إن النصر مع الصبر والفرج مع الكرب وإن مع العسر يسرا[1].

وفي الحديث الآخر عن أمير المؤمنين عليه السلام: لا يعدم الصبور الظفر وإن طال به الزمن[2].

وإن خير مصداق حي على ثمرات الصبر ما جرى في لبنان بعد سنوات الصبر على ظلم الإحتلال ومجازره الوحشية، حيث أتى النصر الموعود منّةً من الله لأمة قد اتخذت الصبر لباسا عند المصائب والإخلاص في العمل ذخيرة في المعارك.

(١) ميزان الحكمة، الحديث ١٠٠٦٨.

(٢) ميزان الحكمة، الحديث ١٠٠٧٠.



٣

الجهاد الأكبر

فضل جهاد النفس

إن جهاد النفس وهو المسمى بالجهاد الأكبر، يعتبر من ركائز الأخلاق الإسلامية السامية إذا لم نقل الدعامة الرئيسية للأخلاق،إذ من خلاله تصاغ الشخصية الإيمانية، وكذلك بتركه تصاغ الشخصية المنحرفة، لتصبح نفسا أمارة بالسوء والفحشاء، فالنفس هي محور الأخلاق فإن هذبت حسنت الأخلاق وإن تركت على هواها فلن يكبح جماحها حينئذ كابح أبدا، عن أمير المؤمنين عليه السلام : من لم يتدارك نفسه بإصلاحها أعضل داؤه، وأعيى شفاؤه، وعدم الطبيب[1].

ومن هنا أكد الإسلام على أهمية تهذيب النفس وانتزاع الضغائن والمفاسد منها، وسمي تهذيبها بالجهاد الأكبر لأن جهاد الأعداء في سبيل الله وهو الجهاد الأصغر ما كان ليوجد لولا الجهاد الأساسي لهذه النفس النزوعة إلى الراحة والكسل والخمول وترك الفرائض.

(١) غرر الحكم، ح. ٩٠٢٥.

وقد أكدت الروايات على أفضلية جهاد النفس والفضل الذي يترتب عليه وسنستعرض فيما يلي بعضها، فعن الإمام علي عليه السلام: أفضل الجهاد جهاد النفس عن الهوى وفطامها عن لذات الدنيا[1].

وعن الإمام علي عليه السلام: جهاد النفس مهر الجنة[2].

ومن الثواب على جهاد النفس ما ورد في الحديث عنه عليه السلام: إن المجاهد نفسه على طاعة الله وعن معاصيه عند الله سبحانه بمنزلة بر شهيد[3].

لزوم مجاهدة النفس

لقد أكد أهل البيت عليهم السلام على لزوم جهاد النفس في الكثير من أقوالهم وأفعالهم؛ ففي الحديث عن الإمام الكاظم عليه السلام: جاهد نفسك لتردها عن هواها فإنه واجب عليك كجهاد عدوك[4].

وما ذلك الوجوب الذي عناه الإمام إلا لأجل خطرها لو خليت وشأنها، فالنفس الأمارة بالسوء كما يصفها أمير المؤمنين عليه السلام قائلاً: النفس الأمارة تتملق تملق المنافق، وتتصنع بشيمة الصديق الموافق، حتى إذا خدعت وتمكنت تسلطت تسلط العدو، وتحكمت تحكم العتو فأوردت موارد السوء[5].

(١) غرر الحكم، ح. ٣٢٣٢.
(٢) ميزان الحكمة، الحديث ٢٧٢٧.
(٣) ميزان الحكمة، الحديث ٢٧٣٠.
(٤) ميزان الحكمة، الحديث ٢٧٣٣.
(٥) غرر الحكم، ح. ٢١٠٦.

وهذا الحديث يشير إلى مدى قوة الأحابيل التي تقدر النفس على حياكتها لو أرادت أن توقعك في معصية الله عز وجل، فهي تأتيك بصورة الصديق المخلص الوفي لتنصحك بمعصية ذي الجلال حتى إذا قبلت منها النصيحة فقد جعلت لها في قلبك منزلا ومستقرا، فتحتل القلب كما يحتل العدو الأرض ويهيمن عليها وعلى خيراتها...

من هو أقوى الناس؟

ولأجل ما ذكرناه من أحابيلها وتسلطها، كان أقوى الناس من يستطيع أن يقهر سلطانها عن قلبه؛ ففي الحديث عن الإمام علي عليه السلام : جاهد نفسك على طاعة الله مجاهدة العدو عدوه، وغالبها مغالبة الضد ضده، فإن أقوى الناس من قوي على نفسه[١].

وفي الحديث الآخر عنه عليه السلام : أقوى الناس أعظمهم سلطانا على نفسه[٢].

المداومة على المجاهدة

ولا يقتصر الأمر على أن يجاهد الإنسان نفسه ويقهرها مرة واحدة، بل لا بد له من مراقبتها على كل حال، فالنفس لا تترك بحال

(١) غرر الحكم، ح. ٤٧٦١.
(٢) غرر الحكم، ح. ٣١٨٨.

من الأحوال فقد ورد في الحديث عن الإمام علي عليه السلام: ينبغي للعاقل أن لا يخلو في كل حال من طاعة ربه ومجاهدة نفسه[1].

وفي حديث المعراج ومن كلام الله سبحانه وتعالى لنبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم: ... يموت الناس مرة ويموت أحدهم كل يوم سبعين مرة من مجاهدة أنفسهم ومخالفة هواهم والشيطان الذي يجري في عروقهم[2].

فلكي تملكَ النفس لا بد من دوام مراقبتها ومحاسبتها في الليل والنهار كما روي عن أمير المؤمنين عليه السلام: املكوا أنفسكم بدوام جهادها[3].

ثمرة المجاهدة

إن مجاهدة النفس لها ثمرات عملية مهمة فضلا عما ذكرناه من الثواب في الآخرة وهذه الثمرات هي:

❖ قهر النفس: وقهر النفس الأمارة من أهم طرق ترسيخ الفضائل في النفس، لأن النفس الإنسانية بطبعها طامحة إلى ما لا نهاية له فلو أعطيت جبلين من ذهب لطمعت في الثالث فعلى الإنسان أن يكبح جماحها لئلا تتعود على أن تحصل على كل ما تريد وبذلك يسهل تعويدها على محاسن الأخلاق؛ فعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: جاهدوا أهواءكم

(١) غرر الحكم، ح. ١٠٩٢٢.
(٢) ميزان الحكمة، الحديث ٢٧٥٦.
(٣) غرر الحكم، ح. ٢٤٨٩.

تملكوا أنفسكم[1].

وعن الإمام علي عليه السلام: ثمرة المجاهدة قهر النفس[2].

❖ قوة الإرادة: فإن أحد أسباب تقوية الإرادة مجاهدة النفس ومغالبتها حيث ورد عن الإمام علي عليه السلام: من بذل جهد طاقته، بلغ كنه إرادته[3].

❖ كمال العقل: فعن الإمام علي عليه السلام: جاهد شهوتك وغالب غضبك وخالف سوء عادتك تزك نفسك ويكمل عقلك وتستكمل ثواب ربك[4].

لأن من الطبيعي أن جهاد النفس يكبح جماح الشهوات، وعندما يكبح جماحها يستولي العقل لأن الشهوات مما يسلب الإنسان القدرة على التفكير السليم.

(١) ميزان الحكمة، الحديث ٢٧٦٦.
(٢) غرر الحكم، ح. ٤٦٥٥.
(٣) غرر الحكم، ح. ٢٧٨٨.
(٤) غرر الحكم، ح. ٤٧٦٠.


لبيك
يا ابا الفضل

٤

حسن الظن بالله تعالى

فضل حسن الظن بالله تعالى

إن حسن الظن بالله ورحمته ووعده وكرمه ولطفه وعنايته من علائم الإيمان المهمة ومن الأسباب المؤثرة في النجاة والسعادة، حتى أنه ورد في بعض أحاديث الرسول ﷺ قوله: ليس من عبد يظن بالله خيرا، إلا كان عند ظنه به[١].

كما ورد عن الإمام الرضا عليه السلام أنه قال: أحسن الظن بالله، فإن الله عز وجل يقول: أنا عند حسن ظن عبدي المؤمن بي إن خيرا فخير، وإن شرا فشر[٢].

ولأجل ذلك كان حسن الظن بالله عز وجل كما يقول الإمام علي عليه السلام: حسن الظن من أحسن الشيم وأفضل القسم[٣] . أي من أفضل ما قسم الله لعباده.

فأي قيمة أيسر من هذا وأي متاع أعظم قيمة منه[٤].

(١) بحار الأنوار، ج٧٠، ص٣٨٤.

(٢) بحار الأنوار، ج٧٠، ص٣٨٥.

(٣) ميزان الحكمة، الحديث ١١٥٢٩.

(٤) مقتبس من تفسير الأمثل (للشيخ ناصر مكارم الشيرازي)، ج١٦، ص٤٠٠ـ٤٠١.

ثمرة حسن الظن بالله في الدنيا

إن ثمرة حسن الظن بالله في الدنيا، استجابة الدعاء ونيل المطلب الذي يطلبه الإنسان من ربه؛ فقد ورد في الحديث الشريف عن رسول ﷺ: والذي لا إله إلا هو لا يَحْسُنُ ظَنّ عبدٍ مؤمنٍ بالله إلا كان الله عند ظن عبدِهِ المؤمن لأنّ الله كريمٌ بيده الخيرات يستحي أن يكون عبده المؤمن قد أحسن به الظن ثم يخلف ظنه ورجاءه فأحسنوا بالله الظنّ وارغبوا إليه[1].

فلنأمل برحمة الله كل الخير بعد وعد الرسول ﷺ لنا بنيل المرام...

ثمرة حسن الظن بالله في الآخرة

إن ثمرة حسن الظن بالله في الآخرة هي الجنّة كما عبرت الأحاديث الشريفة، فعن الإمام علي عليه السلام: من حسن ظنه بالله فاز بالجنة، ومن حسن ظنه بالدنيا تمكنت منه المحنة[2].

وورد في حديث آخر عن النبي ﷺ يقول فيه: إن حسن الظن بالله ثمن الجنة[3].

(١) ميزان الحكمة، الحديث ١١٥٨١.

(٢) غرر الحكم، ح. ٨٨٤٠، ٨٨٤١.

(٣) المصدر السابق.

بين حسن الظن بالله والغرور

ينبغي لنا أن نلتفت إلى أمر مهم ومؤثّر على الصعيد الأخلاقي، وهو أن لا نخلط بين حسن الظن بالله والغرور، فإن حسن ظن الإنسان بالله لا يعني أبدا أن نترك الطاعات أو نتهاون بها أو نتجرأ على المعاصي والعياذ بالله غروراً بما ورد من أن حسن الظن بالله ثمن الجنة، بل لا بد لنا من أن نتابع جهاد أنفسنا في الليل والنهار، فمجرد الرجاء وحسن الظن بالله لا يكفي لوحده أبداً، وهذا المعنى يشير إليه الإمام الخميني قدس سره في (الأربعون حديثاً)، عندما يتحدث عن الفرق بين الرجاء والغرور يقول قدس سره ما مضمونه:

«ولكن أيها العزيز كن على حذر لئلا تخلط بين الرجاء والغرور فقد تكون مغترا وتحسب نفسك من أهل الرجاء... قال بعضهم مثل الذي لا يعمل وينتظر رحمة ربه ويرجو رضوانه مثل الفلاح الذي ينتظر الزرع من دون أن يبذر الأرض أو يهتم بها وبإروائها، إن مثل هذا الإنتظار لا يسمى بالرجاء بل هو بله وحماقة، فالرجاء المستحسن والمحبوب هو تهيئة الأسباب كافة التي يمتلكها الإنسان كما أمر الله بها، واستغلالها حسب القدرة التي زوده بها الحق المتعال بعنايته الكاملة...»[١].

(١) مضمونه مع التفصيل في الأربعون حديثا ص٢٦٣ ـ ٢٦٤.

وفي الحديث عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: قوم يعملون بالمعاصي ويقولون نرجو، فلا يزالون كذلك حتى يأتيهم الموت، فقال: هؤلاء قوم يترجحون في الأماني، كذبوا ليسوا براجين، إن من رجا شيئا طلبه ومن خاف من شيء هرب منه[١].

سوء الظن

وأما سوء الظن فإنه لا يقتصر على سوء الظن بالمؤمنين بل له أنواع أخرى وهي:

١ ـ **سوء الظن بالنفس:** وهو إذا لم يبلغ درجة التفريط حسن وممدوح لأن الرضا عن النفس من آفات الإيمان وتوقف مسيرة التكامل عند الإنسان ،فاتهام النفس بالتقصير وسوء الظن بها مندوب إليه لأنه سلّم التكامل ويجر الإنسان إلى التدقيق في أعماله وتصرفاته وقد ورد في خطبة المتقين لأمير المؤمنين عليه السلام: فهم لأنفسم متهمون ومن أعمالهم مشفقون[٢]...

٢ ـ **سوء الظن بالناس:** فهو ممنوع، وقد نهت عنه الآيات الكريمة يقول سبحانه وتعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾**[٣].

---

(١) الكافي، الشيخ الكليني، ج٢، ص٦٨.

(٢) نهج البلاغة من كلام له عليه السلام لهمام في وصف المتقين.

(٣) سورة الحجرات، الآية: ١٢.

٣ـ سوء الظن بالله تعالى: أي سوء الظن برحمته وكرمه الذي لا حدّ له، فهو قبيح ومذموم ويدل على عدم الإيمان؛ قال سبحانه وتعالى: **﴿وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾**[١].

(١) سورة الفتح، الآية: ٦.



٥

التكافل الاجتماعي

إن المجتمع المتماسك بشكل عام لا يمكن أن يقوم إلا بالتعاون بين أفراده والتكافل الاجتماعي بما يتضمن من المعاني الأخلاقية السامية الذي من مصاديقه معونة الثلة المجاهدة، وتكفل أيتام الشهداء، وسوف نتحدث هاهنا عن هاتين المسألتين موضحين النظرة الإسلامية الرشيدة لهما.

دعم المجاهدين

إن الدعم للمجاهدين بغضّ النظر عما له من الأجر والثواب عند الله تعالى، هو من الأمور التي يمليها علينا الضمير الإنساني الحي، لأن من يقدم لك معروفا صغيرا فإنك تحتار كيف تكافئه عليه فكيف بك بمن يحمل روحه على كفه دفاعا عن أرضك وعرضك وشرفك وكرامتك تاركا وراءه كل ما يراه من الزخارف الدنيوية ساعياً نحو

الكرامة الإلهية طالبا إحدى الحسنيين إما النصر وإما الشهادة ويكون دعم المجاهد بنحوين مادي ومعنوي:

(أ) مادياً

وذلك بتجهيزهم بالسلاح والذخيرة وكل ما يحتاجونه في جهادهم ضد أعداء الإنسانية، ومهما كانت المساعدة صغيرة فإن أول البحر نقطة، وأولى الناس بدعم المجاهدين القادرون على تأمين حاجاتهم الكبيرة منها والصغيرة، وليُعلم أن الله سبحانه وتعالى جعل لمن يجهز مجاهدا ولو بالشيء القليل أجر جهاد المجاهد؛ فعن رسول الله الأكرم محمد صلى الله عليه وآله وسلم: من جهز غازيا بسلك أو إبرة غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر[1].

وبذلك يكون المجتمع بأكمله قد شارك في الجهاد في سبيل الله وكل فرد منه بحسبه، حتى الجبان الذي يخاف من الحرب يكون قد جاهد في سبيل الله بدعمه للمجاهدين وتجهيزهم بذلك، وقد تقدم معنا أنه لا ينبغي للجبان أن يكون في الحرب كي لا يحبط العزائم، ففي الحديث عن أمير المؤمنين عليه السلام: الجبان لا يحل له أن يغزو لأن الجبان ينهزم سريعاً، ولكن ينظر من كان يريد أن يغزو به فليجهز به غيره، فإن له مثل أجره في كل شيء ولا ينقص من أجره شيئاً[2].

(١) ميزان الحكمة، الحديث ٢٦٩١.
(٢) ميزان الحكمة، الحديث ٢٦٩٣.

(2) معنوياً

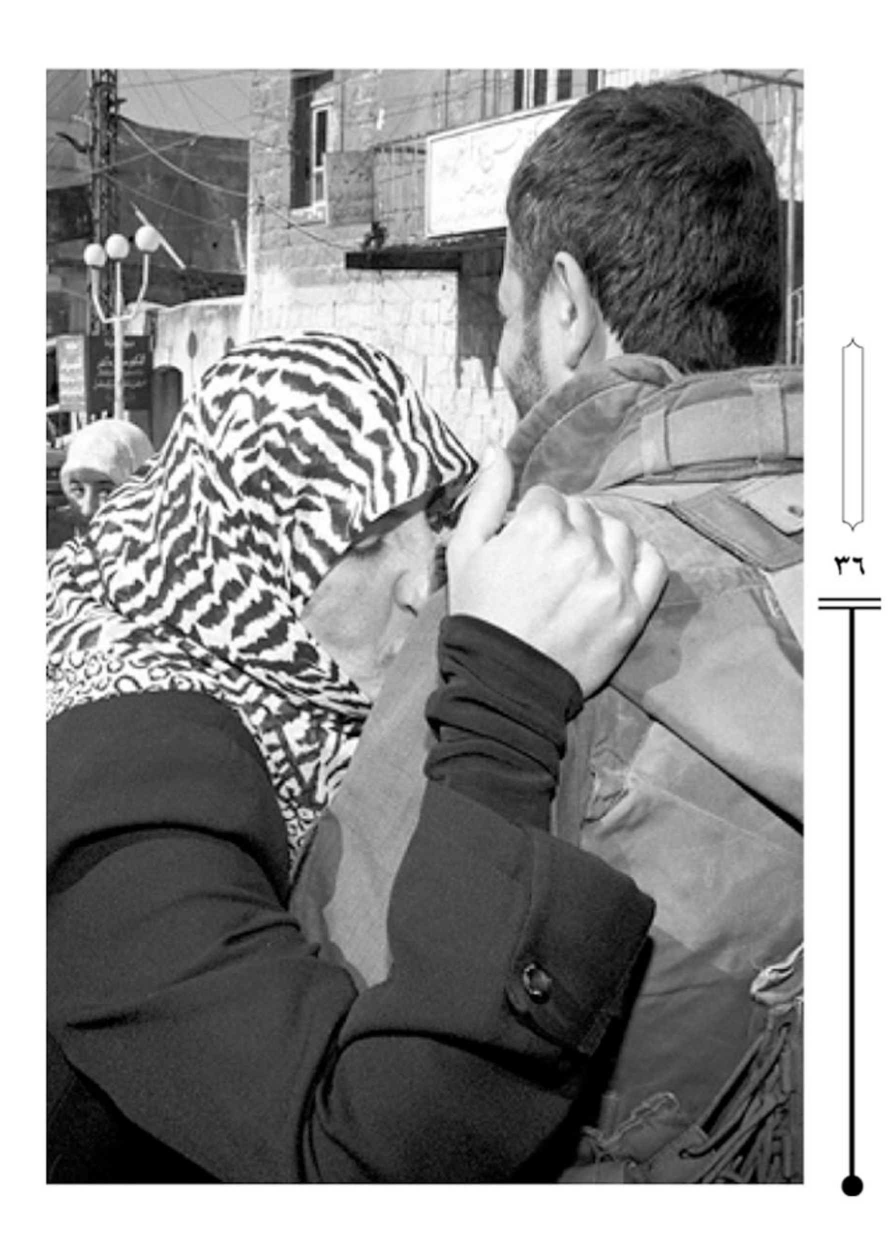
ويكون حفظهم معنوياً بأن لا يخلفوا بخلافة السوء في أهلهم ومالهم بل يحافظ عليهم من تقلب الأيام وضيق المعاش والدفاع عنهم إذا اغتابهم أحد من الناس ونصرة قضيتهم لأن أذية المجاهد من دواعي سخط الباري عز وجل؛ فعن رسول الله ﷺ: من اغتاب غازياً أو آذاه أو خلفه في أهله بخلافة سوء نصب الله له يوم القيامة علم فيستفرغ بحسناته ويركس في النار[1].

فليس من شيم الكرام أن تكافئ من فداك وأهلك ومالك، ورهن روحه لله تعالى وكل ما يملك؛ أن تكافئه بخلافة سوء في أهله وماله.

الدعاء للمجاهدين

وهو أقل التضامن معهم، فإن الدعاء ولو لدقائق قليلة من الزمن يقدر عليها كل إنسان منا وقد تؤدى في قنوت الصلاة الواجبة، وسنذكر في آخر الكتاب نبذة من أدعية الجهاد لتكون محاولة متواضعة لمكافأة هؤلاء القلة الذين أعزوا أمتنا وأعادوا الدم الإيماني إلى شريانها.

(١) بحار الأنوار ج ٩٧، ص٥٧.



٦



التقوى

اهمية التقوى

كلمة التقوى قد اشتقت من الوقاية وهي أن يجنّب الإنسان نفسه من الوقوع في معصية الله تعالى فيكون قد أخذ الوقاية من العقاب والمؤاخذة من الله تعالى، وإن تقوى الله جل جلاله هي حقيقة وترجمة لإيمان الإنسان بربه سبحانه وتعالى، فهي الإيمان الحقيقي حين يتجسد على الأرض ممارسة وعملاً، ولا يكون بمجرد إدّعاء وتظاهر به، ومن هنا تبرز أهمية التقوى وتكون كما وصفها أمير المؤمنين عليه السلام : التقى رئيس الأخلاق[1].

وعن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم: من رزق تقى فقد رزق خير الدنيا والآخرة[2] وذلك لأنّ التقوى هي التدين الحقيقي ومن خلالها تظهر الملكات الحميدة والصفات الأخلاقية النبيلة، وهي من أعظم النعم، ومن دون هذه الصفات الأخلاقية لا يمكن للإنسان أن يفوز بخير الآخرة.

(١) نهج البلاغة، الحكمة ٤١٠.

(٢) ميزان الحكمة، الحديث ٢٢٣٣٢.

خصائص التقوى

التقوى خير لباس:

فقد قال سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: **﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىَ ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾**[1].

وعن الإمام الباقر عليه السلام في تفسير هذه الآية: فأما اللباس فالثياب التي تلبسون، وأما الرياش فالمتاع والمال، وأما لباس التقوى فالعفاف، لان العفيف لا تبدو له عورة وإن كان عارياً من الثياب والفاجر بادي العورة وإن كان كاسيا من الثياب يقول: (ولباس التقوى ذلك خير) يقول العفاف خير[2].

والتعفف لا يكون في أمر دون أمر فالعفاف هو الحاجز الذي يمنع الإنسان من الإفراط في الإنقياد وراء الرغبات الجامحة والشهوات الطامحة، التي إذا لم تكبح وتقف عند خط أحمر لا يمكن تجاوزه، لوقع الإنسان في ما يسخط الله سبحانه وتعالى، ولأجل هذا كانت التقوى هي الساتر الذي يستر الإنسان من الصفات القبيحة التي لولاها لغدا كالحيوان المفترس سائرا وراء غرائزه غير مبال بما يجري من حوله ولن يجد حينئذ له من ساتر آخر حتى يحجب من خلاله مساوئ الأخلاق، فقد ورد عن

(١) سورة الأعراف، الآية: ٢٦.

(٢) تفسير علي بن إبراهيم القمي، ج١، ص٢٢٦.

أمير المؤمنين عليه السلام: من تعرّى من لباس التقوى لم يستتر بشيء من اللباس[1]، وينبغي الإشارة هنا إلى أن أمير المؤمنين عليه السلام عدّ الجهاد لباساً للتقوى حيث ورد عنه عليه السلام: إن الجهاد باب من أبواب الجنة فتحه الله لخاصة أوليائه وهو لباس التقوى[2] لأن اللباس كما يعتبر مظهراً للإنسان كذلك فإنه يحفظه ويقيه، وذلك يعني أن التقوى لا بد وأن تتكلل بالجهاد، وأن يكون الجهاد حافظا لهذه التقوى وبترك الجهاد قد تضيع التقوى.

التقوى حصنٌ حصين:

وقد ورد هذا الوصف لها في الروايات، لأن العامل بالتقوى المراقب لنفسه يكون قد أعد حصناً داخل نفسه حذراً من هجمات الشياطين ووساوسها؛ فعن الإمام علي عليه السلام: التقوى حصن حصين لمن لجأ إليه[3].

وعنه عليه السلام: التقوى حرز لمن عمل بها[4].

التقوى مفتاح الصلاح:

فعن الإمام علي عليه السلام: التقوى مفتاح الصلاح[5].

ويعلل سبب ذلك في حديث آخر عنه عليه السلام: إن تقوى الله حمت أولياء الله محارمه، وألزمت قلوبهم مخافته، حتى أسهرت لياليهم،

(١) ميزان الحكمة، الحديث ٢٢٣٦٩.
(٢) نهج البلاغة، خطبة الجهاد.
(٣) غرر الحكم، ح. ١٥٥٨.
(٤) غرر الحكم ح. ١١٢٨.
(٥) غرر الحكم ح. ٩٤١.

وأظمأت هواجرهم[1]، فأخذوا الراحة بالنصب، والري بالظمأ، واستقربوا الأجل فبادروا العمل[2].

آثار التقوى في دار الدنيا

للتقوى آثار على الصعيد الدنيوي لأنه من الطبيعي أن ينظر الله سبحانه وتعالى لمن كان همه التقرب إليه والوصول إلى رضوانه، ولو طالعنا فيما ورد في كتاب الله سبحانه وتعالى وما ورد من الروايات عن نبينا الأكرم ﷺ وأهل بيته عليهم السلام لوجدنا آثار التقوى في دار الدنيا كالتالي:

١ ـ الفَرَج:

قال سبحانه تعالى: ﴿**وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا**﴾[3].

وعن رسول الله ﷺ: لو أن السماوات والأرض كانتا رتقا على عبد ثم اتقى الله لجعل الله منهما فرجا ومخرجا[4].

وعن الإمام علي عليه السلام: من أخذ بالتقوى عزبت[5] عنه الشدائد بعد دنوها، واحلولت له الأمور بعد مرارتها، وانفرجت عنه الأمواج بعد تراكمها، وأسهلت له الصعاب بعد إنصابها[6].

(١) الهاجرة بمعنى وسط النهار، وأظمأ المرء هواجره بمعنى العطش في النهار الحار إما لصوم وإما لإمساك.
(٢) نهج البلاغة، الخطبة ١١٤.
(٣) سورة الطلاق، الآية: ٢.
(٤) ميزان الحكمة، الحديث ٢٢٤٢٦.
(٥) عزبت: بمعنى بعدت وغابت (صحاح الجوهري).
(٦) نهج البلاغة، خطبة ١٩٨.

٢ ـ تيسير الرزق:

فعن رسول الله ﷺ: يا أيها الناس إتخذوا التقوى تجارة، يأتكم الرزق بلا بضاعة ولا تجارة، ثم قرأ الآية: **﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب﴾**[١].

٣ ـ يدرأ الله عنه السوء والبلايا:

عن الإمام الصادق عليه السلام: من اعتصم بالله بتقواه عصمه الله، ومن أقبل على الله قبله، وعصمه، لم يبال لو سقطت السماوات والأرض، وإن نزلت نازلة على أهل الأرض وشملتهم بلية كان في حرز الله بالتقوى من كل بلية أليس الله تعالى يقول:

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ﴾[٢][٣].

أثر التقوى في الآخرة

من الطبيعي أن تثمر التقوى في آخر المطاف الأجر الكبير من الله تعالى، لأن الذي يتقي الله ويعمل بين الناس بمقتضى ما تمليه عليه تقواه من حسن الخلق ومداراة الناس وعدم الأذية للآخرين

(١) ميزان الحكمة، الحديث ٢٢٤٢٨.
(٢) سورة الدخان، الآية: ٥١.
(٣) وسائل الشيعة، ج١٥، ص٢١١.

وغيرها من الأعمال الصالحة فإنه سيكون من الفائزين والآمنين عند الله عز وجل؛ فعن رسول الله ﷺ لما قرأ الآية: **﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب﴾** قال ﷺ: من شبهات الدنيا، ومن غمرات الموت، وشدائد يوم القيامة[١].

من صفات أهل التقوى

إن الصفة العامة لأهل التقوى هي الإلتزام بالتكاليف الإلهية بجميع تفاصيلها ومن ذلك تتجلى فيهم كل المعاني الإنسانية والأخلاقية السامية كالصدق، والأمانة، والزهد، والتعلق بأهل البيت، وولاية أحباء الله سبحانه؛ ففي الحديث عن الإمام الباقر عليه السلام في حديث مفصّل ومعبّر: إن أهل التقوى هم الأغنياء، أغناهم القليل من الدنيا، فمؤنتهم يسيرة، إن نسيت الخير ذكروك، وإن عملت به أعانوك، أخروا شهواتهم ولذّاتهم خلفهم وقدموا طاعة ربهم أمامهم، ونظروا إلى سبيل الخير وإلى ولاية أحباء الله فأحبوهم، وتولوهم واتبعوهم[٢].

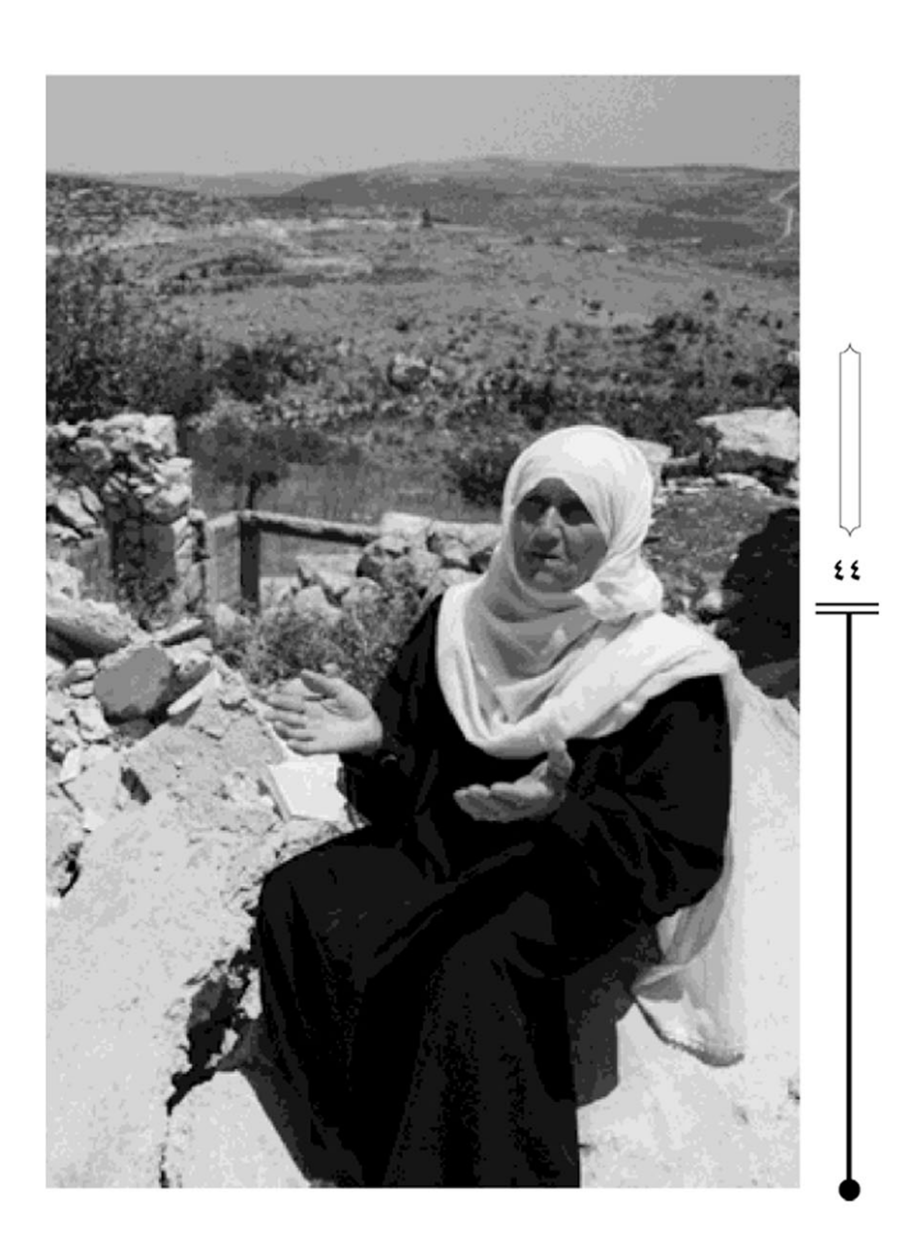
وفي حديث آخر عنه عليه السلام : إن لأهل التقوى علامات يعرفون بها:

(١) ميزان الحكمة، الحديث ٢٢٤٢٧.

(٢) بحار الأنوار، ج٧٨، ص١٦٦.

وصدق الحديث وأداء الأمانة، والوفاء بالعهد،... وبذل المعروف، وحسن الخلق، وسعة الحلم، واتّباع العلم فيما يقرب إلى الله عزّ وجلّ[1].

(١) ميزان الحكمة، الحديث ٢٢٤٤٤.



٧

التوبة

التوبة إلى الله

قال عز من قائل في كتابه الكريم: ﴿**وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ**﴾[١].

التوبة هي الرجوع عن الذنب الذي يقع فيه الإنسان جراء تسويلات الشيطان ونفسه الأمارة بالسوء، بعد أن يدرك أنه بفعل هذا الذنب قد أبعد نفسه عن رضوان الله تعالى، وحتى لا يصاب عباد الله تعالى باليأس، ويلاحقوا بعذاب الضمير إلى يوم القيامة فتح الله برحمته باب التوبة ليعود من خلاله الإنسان إلى نعيم الرضوان الإلهي، بعد أن أخرج نفسه طوعا منه، وهنا تتجلى الرحمة الإلهية لأهل الدنيا: ﴿**قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ**﴾[٢].

(١) سورة الشورى، الآية: ٢٥.
(٢) سورة الزمر، الآية: ٥٣.

الله يقبل التوبة

لقد دعانا الله إلى التوبة جميعا من ذنوبنا، ووعدنا بأن يقبل توبتنا ـ مع تحقق شروطها ـ ووعدُ الله حق ولا يخلف الله ما وعد به عباده حيث قال: ﴿**وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾[1] وكذلك حثنا الرسول الأكرم ﷺ عليها كما روي عنه ﷺ: توبوا إلى الله فإني أتوب إلى الله في كل يوم مئة مرة[2] وهذا تعليم من النبي الأكرم ﷺ لنا أن نكون في حالة التوبة إلى الله دائما وحتى لو لم نرتكب الذنوب، فإن الإنسان مهما علا شأنه يظلّ مقصرا أمام ربّه عن أداء شكر النعم التي أنعم بها عليه، فليستغفرِ الله عن التقصير في أداء شكرها راجيا منه العون والتوفيق ...

لا تؤخر التوبة

إن التسويف بالتوبة عمل لا يصب في مصلحة الإنسان المؤمن لأن الإنسان لا يدري متى تسقط ورقته، وينقضي أجله ولا يضمن أن يخرج الزفير بعد الشهيق حين تنفسه، فكيف تطاوعه نفسه أن يؤخر التوبة والحال هذه فلا بد من الإسراع إلى التوبة في أقرب الفرص حتى لا

(١) سورة النور، الآية: ٣١.

(٢) ميزان الحكمة، الحديث ٢١٣١.

يدركه الموت وهو على معصية الله جل جلاله؛ فعن الإمام علي عليه السلام: مسوّف نفسه بالتوبة، من هجوم الأجل على أعظم خطر[1]، والمسوف هو من تقول له نفسه دعك من الأمر الآن وسوف تتوب غداً.

وعنه عليه السلام في حديث آخر: لا تكن ممن يرجو الآخرة بغير العمل، ويرجئ[2] التوبة بطول الأمل[3].

متى تُقبل التوبة؟

تقدم معنا أن الله قد وعد عباده بقبول توبتهم وقد أكدت الآيات الكثيرة على هذا المعنى وعلى هذا الوعد كما في قوله تعالى: **﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾**[4].

ولكن ليس كل من طلب التوبة لا بد وأن يقبلها منه الله تعالى، فهناك موارد لا يقبل الله تعالى التوبة فيها، فالإنسان الذي يفعل الذنب ويقدم على معصية الله نتيجة جهله ووقوعه أمام وساوس الشيطان ثم بعد ذلك يلتفت إلى نفسه وأنه قد وقع في الخطأ الجسيم فيقدم على التوبة بصفاء روح وإخلاص نية، مثل هذا الشخص تقبل

(١) مستدرك الوسائل، ج١٢، ص١٣٠.
(٢) يرجئ: بمعنى يؤجل ويؤخر.
(٣) بحار الأنوار، ج٦، ص٣٧.
(٤) سورة التوبة، الآية: ١٠٤.

توبته، ولكن هنالك أشخاص يتجرؤون على الله ليل نهار ولا يراعون لأحد من حرمة ويستمرون على هذا المنهج طوال حياتهم ثم عندما تنزل بهم نازلة الموت تراهم يقولون تبنا إلى الله كما فعل فرعون عندما عاين الموت والغرق فهؤلاء لا تقبل توبتهم ؛ قال سبحانه وتعالى: **﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوَءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَـئِكَ يَتُوبُ اللّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللّهُ عَلِيماً حَكِيماً ❖ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الآنَ وَلاَ الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَـئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾**[1].

وهناك نموذج آخر لا تقبل منه التوبة بحال وهو المنكر الجاحد للدين، والكافر بالله بعد أن عرف الإيمان بعقله وأدرك أنه الحق من الله ثم أنكره وكفر به فهذا الصنف من الناس لا تقبل منه التوبة كما تخبرنا الآية الكريمة: **﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُواْ كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ﴾**[2].

شرائط التوبة

لا تقع التوبة من العبد عن الذنب بمجرد الإستغفار ولقلقة اللسان

(١) سورة النساء، الآيتان: ١٧ ـ ١٨.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٩٠.

وإلا فكل الناس تلجأ إلى المعاصي ليل نهار ثم تقول عقب كل ذنب أستغفر الله وأتوب إليه وتنتهي المسألة، وحينئذ تنعدم الفائدة من التشريع، ويصبح الإسلام نموذجاً فاشلاً عن تحقيق السعادة للإنسان، بل لا بد لقبول التوبة من شروط قد اختصرها الحديث عن أمير المؤمنين عليه السلام حينما سمع رجلا يقول أستغفر الله فقال له: ثكلتك أمك أو هكذا الإستغفار؟ إن الإستغفار درجة العليين وهو اسم واقع على ستة معان:

أولها الندم على ما مضى.

والثاني العزم على ترك العود إليه أبداً.

والثالث أن تؤدي إلى المخلوقين حقوقهم حتى تلقى الله سبحانه أملس ليس عليك تبعة.

الرابع أن تعمد إلى كل فريضة عليك ضيعتها فتؤدي حقها.

الخامس أن تعمد إلى اللحم الذي تنبّت على السحت فتذيبه بالأحزان حتى يلصق الجلد بالعظم وينشأ بينهما لحم جديد.

السادس أن تذيق الجسم ألم الطاعة كما أذقته حلاوة المعصية[1].

آثار التوبة

بعد أن يحقق الإنسان التوبة بشروطها الآنفة الذكر، فإن الله تعالى سيقبلها منه وتترتب على ذلك الآثار التالية:

(١) الكافي، ج٢، ص٤٣١.

١ ـ تطهير القلب:

فيصبح القلب نقيا ناصعا بعد أن تزول عنه آثار المعاصي فعن النبي الأكرم محمد ﷺ: التائب من الذنب كمن لا ذنب له[١].

وعن الإمام علي عليه السلام: التوبة تطهر القلوب وتغسل الذنوب[٢].

٢ ـ تنزل الرحمة الإلهية:

لأن الله سبحانه حينما تطلب التوبة منه ويقبلها منك فإنه سينظر إليك بعين الرحمة وهو أرحم بعباده من الأم بولدها، وعن الإمام علي عليه السلام: التوبة تستنزل الرحمة[٣].

٣ ـ ستر الله على التائب:

حيث ورد عن الإمام علي عليه السلام: من تاب، تاب الله عليه، وأمرت جوارحه أن تستر عليه، وبقاع الأرض أن تكتم عليه، وأنسيت الحفظة ما كانت تكتب عليه[٤].

فانظر إلى رحمة الله بعباده ومدى ستره عليهم لدرجة أنه ينسي الحفظة وينسي الأرض هذا الذنب بعد التوبة، وعن الإمام الصادق عليه السلام: إذا تاب العبد توبة نصوحا أحبه الله فستر عليه في الدنيا والآخرة[٥].

---

(١) ميزان الحكمة، الحديث ٢١١٧.
(٢) غرر الحكم، ح. ١٣٥٥.
(٣) مستدرك الوسائل، ج١٢، ص١٢٩.
(٤) ميزان الحكمة، الحديث ٢١٨٣.
(٥) ميزان الحكمة، الحديث ٢١٨٤.

٤ ـ تبديل السيئات حسنات:

روعة الرحمة الإلهية تتجلى على التائب الحقيقي حين يبدل الله سيئاته حسنات قال تعالى: ﴿**إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا**﴾[1].

وعن الإمام الصادق عليه السلام: أوحى الله إلى داود النبي عليه السلام: يا داود إن عبدي المؤمن إذا أذنب ذنبا ثم رجع وتاب من ذلك الذنب واستحى مني عند ذكره غفرت له، وأنسيته الحفظة وأبدلته الحسنة ولا أبالي وأنا أرحم الراحمين[2].

٥ ـ محبة الله:

يقول الله تعالى: ﴿**إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ**﴾[3].

(١) سورة الفرقان، الآية: ٧٠.

(٢) ميزان الحكمة، الحديث ٢١٨٥.

(٣) سورة البقرة، من الآية: ٢٢٢.


٥٢

الفهرس